ربطت وعلقت ؟ هل الجانب العلمي الذي أخذه العرب عن اليونان انتهى إلى الحد الذي انتهى إليه اليونانيون في تقريرهم بأن عشرات الآلهة تحكم عالمهم ، وأن هذه الآلهة تموت وتحيا وتقتل ؟ أم أن ذلك الجانب العلمي هو أن تكون الأسطورة ديناً لهم كما كانت إلياذة هوميروس دينا لليونان قروناً طويلة ؟

إذا كان الشرق قد أدخل العنصر الروحي في تقرير المعاملات بين الناس فهل يتنافى هذا مع العقل السليم ؟ وهل يتهم بعد ذلك بأنه قاصر ونحن نعلم علم اليقين بأن الشرقي في اعتقاده الروحاني قد اتسع أفق تفكيره فشمل عالمين بينما قصر غيره عن ذلك فانتهوا عند حدود عالم واحد أخطأوا حتى في تحديده ؟

لقد نظر أخناتون في مصر إلى العالم الذي أحاط به فرأى أن لا بد لنواميس الكون من مدبر فنادى بالتوحيد ، وكان إيماناً جميلاً أن يبدأ ملك (كان ينتظر أن تسيطر أبهة الملك المادية على قوى تفكيره) بالطبيعة وينتهي للخالق

ونظر إبراهيم إلى الكواكب وكان قومه يعبدونها فرآها تأفل فشك في أن تكون رباً له ، وكان شكه داعياً لإيمانه فقال في ذلك تعالى : (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين »

ونظر الأعرابي في الصحراء إلى ما أحاط به من شمس وقمر ونجوم فداخله الشك (وهو الساذج) في أن تكون معبوده وإلهه ، أو أن تكون مطلقة التصرف في شئون نفسها . وهذه الشمس ، وهذه النجوم تغرب ، وها هم يموتون فلا يعودون . فمن يطلع الشمس ويغربها ، ومن يسطع النجوم ويعزبها ، ومن يذهب بأوائك فلا يعيدهم ؟ أذلك الصنم في معبد الأعرابي ؟ أم تلك الأسطورة عن زفس وأبلون في مخيلة اليونان ؟

هذا الشك بدأ في الشرق وانتهى أهله إلى الخالق عن هذا الطريق . فأصول الشك وجدت في الشرق قبل أن يعلمها الغرب بآلاف السنين . وهذا الشك كان أهم الأسس التي قامت عليها النهضة الأوربية الحديثة . وبعد هذا فما الشرق وما الغرب ؟ ومن صاحب الخالق الواحد ، ومن صاحب الآلهة التي تقتتل ؟ وأين العقلية العلمية بينهما ؟

(البقية في العدد القادم)

(* * *)

فردريك نيتشه (*)

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« ما من مفكر أشد إخلاصا من نيتشه، إذ لم يبلغ أحد قبله ما وصل إليه وهو يسير الأعوام في طلب الحقيقة دون أن يبالي بما يعترض سبيله من مصاعب لأنه ما كان ليروع من اصطدامه بالفجائع في قرارتها أو من الانتهاء إلى لا شيء »

« أميل فاكيه »

هذا هو نيتشه كما صوره فاكيه بعد أن درس عديد مؤلفاته واستعرض فلسفته . وقد جاراه بهذا التقدير أنصار نيتشه وخصومه من كل شعوب أوربا ؛ فانك لو استعرضت المؤلفات التي كتبها عنه المباقرة المديدون ، ومنهم من يعتقد بتخبطه على غير هدى، ومنهم من يرى وراء كل جملة من أقواله سورة لا تنجلي معانيها إلا للعقل النافذ والحس الرهف ، لرأيتهم قد أجمعوا على وصفه بالمفكر الجبار المتجه إلى الحقيقة يطلبها وراء كل شيء حتى وراء المبادئ التي يقول بها

وما أجمع هؤلاء المفكرون إلا على الصواب في هذا الوصف الذي ارتضاه نيتشه لنفسه إذ قال :

« لا يكفي لطالب الحقيقة أن يكون مخلصاً في قصده، بل عليه أن يترصد إخلاصه ويقف موقف الشكاك فيه، لأن عاشق الحقيقة إنما يحبها لا لنفسه مجاراة لأهوائه، بل يهيم بها لذاتها ولو كان في ذلك مخالفاً لعقيدته؛ فاذا هو اعترضته فكرة ناقضت مبدأ وجب عليه أن يقف عندها فلا يتردد أن يأخذ بها

إياك أن تقف حائلاً بين فكرتك وبين ما ينافيها ، فلا يبلغ أول درجة من الحكمة من لا يعمل بهذه الوصية من المفكرين

عليك أن تصلي نفسك كل يوم حرباً ، وليس لك أن تبالي بما تجنيه من نصر أو تجني عليك جهودك من اندحار ، فان ذلك من شأن الحقيقة لا من شأنك »

(*) أوحت العاطفة الاصلاحية النبيلة إلى صديقنا الأستاذ فليكس فارس أن يترجم الكتاب العالمي (زرادشت) للفيلسوف نيتشه الألماني وقد نشر جزءاً كبيراً منه في الرسالة ، ثم تعجله القراء فقدمه كله إلى المطبعة رصدره بهذا التمهيد البارع الذي ننشره اليوم شاكرين للاستاذ جهاده في سبيل الاصلاح والأدب

قال نيتشه بهذا المبدأ، وعمل به وبالرغم مما يتجلّى في تعاليمه من غرور وسَلَف، فانه كان يسير في أبحاثه ولا همّ له سوى استكشاف الآفاق فيورد اليوم فكرة يكذّبها غداً، فكأنه بانكاره الخير والشر لم يجد بداً من إنكار كل عقيدة ثابتة. فاذا أنت أردت أن تسير وراء هذا الفيلسوف طلباً للعقيدة فلا تتعب نفسك باللحاق به في مراحل يقطعها بخطواته الجبّارة لأنه هو نفسه قد أصابه الخبل وبصيرته تائهة في استلهام الحقيقة واستقرائها

مَنْ قال لك:

« إنه لا مكتشفَ لحقيقة ذاته إلاّ من يهتف: هذا هو خيري وهذا هو شرّي فيُخرس الخلد والتزم القائلين بأن الخيرَ خيرٌ للكل والشرّ شرٌّ للجميع »

من قال لك هذا، لا تتوقع منه أن يأتيك بشريعةٍ تقوم مقام الشرائع التي يثور عليها

إن نيتشه المفكر الجبار الذي يفتح أمام الفرد آفاقاً وسيعة في مجال القوة والثقة بالنفس وتحرير الحياة من المسكنة والذل، تائقاً إلى إيجاد إنسان يتفوّق على إنسانيته بالمجاهدة والتغلّب على العناصر والعادات والتقاليد وما توارثته الأجيال من العقائد الموهنة للعزم، يقف وقفة الحائر المتردد عند ما يحاول إقامة مجتمع الأفراد المتفوّقين، بل هو يضطر إلى نقض أوليّاته القائمة على احتقار الرحمة والرُّحماء حتى ينتهي إلى قوله:

« إن العالم الذي يتفوّق على الانسانية إنما يعود بها بعد هذا الجنوح إلى بذل حبه للأصاغر والمتضعين »

وهكذا ترى زرادشت الداعي إلى تحطيم ألواح الوصايا جميعها وإلى إنكار الشريعة الأدبية لاقامة شرعة جديدة ما وراء الخير والشر يعود مفتشاً بين أنقاض الألواح التي حطّمها على كلمات قديمة يجعلها دستوراً لانسانيته المتفوّقة

إن نيتشه الذي ذهب إلى أبعد مدى في تفحُّص سرائر الانسان وأهوائه يضيق به المجال عند ما يتجه إلى حلّ المعضلات الاجتماعية، لأنه إذا أمكن للفرد المتمرّل أن يختطّ لنفسه منهجاً يوافق هواها باعتقاده أنه هو المُبدع لذاته والحركة الأولى لها، فانه ليمتنع عليه أن يكون عضواً حياً في المجموع إذا هو لم يعترف في علاقته مع إخوانه بأنه ليس مصدراً لذاته ولا مآباً لها

إن مَنْ يطمح إلى مثل ما طمح إليه نيتشه من تكوين مجتمع منظم يسود فيه المتفوّقون ولكلٍّ منهم شرُّه الخاص وخيره الخاص، وخيره لا يوجدُ في النهاية إلا مجتمعاً يتفاوت التفوّق فيه بين أفراده فيقضي الأثرى منهم على الأقل قوةً منه حتى يقف آخرُ الظافرين منتحراً بقوته وعنفه كما انتحر إلهُ نيتشه برحمته

غير أنّ المبدع لزرادشت لم تفته هذه الحقيقة، فعاد إلى الشريعة الأولى يختلس منها آيتها الكبرى ليوردها وصيةً لدنياه فقال:

« حذارِ من الطُّفرة في مسلك الفضيلة فعلى كل فردٍ أن يسير في طريقه وإن جنح عن مسالك الآخرين، فلا يطمحنّ إلى بلوغ الذروة وحدَهُ إذ على كل سائر أن يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين »

أين هذه الوصية مما دعا إليه زرادشت في مفكراته نفسها إذ قال:

« على أهل السيادة في الانسانية المتفوّقة أن يمهّدوا سُبُلَ السعادة لمن هم دونهم بتضحية ملذّاتهم وراحتهم، وعليهم أيضاً أن ينقذوا مَنْ لا يصلحون للحياة بالقضاء عليهم دون إمهال »

بل كيف يتفق القسم الأول من هذه الوصية مع قسمها الثاني؟ ومن له أن يضع مقياساً يقضي به على مَنْ لا يصلحون لها إذا اتبع القاضي شرعة زرادشت القائل بأن على أتباعه أن تتجلى القوة فيهم من الرأس حتى إخمص القدم

ولو أن مذهب نيتشه هذا طُبِّقَ قبل ميلاده لكانت السلطة التي يراها مثلاً أعلى قضت على أبيه وأمه دون إمهال فما كان له هو أن يظهر في الوجود بدماغه الجبار وبسُم الداء الذي جال من دمهما الملوّث في دمه ...

ثم، أليس هنالك غير هذه الأدواء الطارئة والتي يمكن للعالم أن يكافحها، ما يقضي على الانسان بالرضوخ له من حالة في جسمه لا قبل له بتبديلها أو تعديلها؟ أفما تحقق الطب أن كل مولود يجيء الحياة إنما يدخلها مستصحباً معه إليها من سلالته الضعف الذي سيقضي عليه؟ أفليس في كل دارج على هذه الغبراء علة أو علل

كامنة فى تكوين أعضائه ستورثه الردى حين تدنو ساعته ؟

أى جسم مهما ظهر لك صحيحاً ليس فيه عضو هو أضعف الحلقات فى سلسلة أعضائه وفى فراغ مناعته المحدودة انفصام المرى وبداية انحلال العناصر فى الهيكل الفانى ؟

أين هو الجسم المنيع الذى يتوق نيتشه إلى إيجاده مربعاً من قمة الرأس إلى إخمص القدم ؟

لقد عمل السالم المتمدن على إيجاده بالرياضة فأوجد الرقاب الغليظة والعضلات المتضخمة مسبباً منها تضخم القلب وجفاء الطبع وبلادة التفكير وانحطام أجنحة الخيال

يريد نيتشه من الانسان المتفوق جباراً كشمشون وحراثاً كداود وحكيماً كسليمان . فهو يكلف الطبيعة ما لا قبل لها به ويطمح إلى إيجاد جبابرة لا يصلحون لشىء فى المجتمع لأن الحيوية لا تنصرف من مختلف نوافذها الجسمية فى آن واحد دون أن تقبض على صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء على مرتبة معلقة بين الاعتلاء والانحطاط فيكون منه لا الانسان المتفوق بل الانسان « التافه » القصير الحياة والقاصر فى كل عمل يباشره

إن المجتمع لا يقوم من الوجهة العملية على أفراد يحاولون الاحاطة بكل شىء فلا يتالون منها شيئاً

وليس الحال إلا على هذا المنوال من الوجهة الروحية أيضاً، فان مَنْ تبصر فى أحوال الناس وطرائقهم فى الحياة ، لا بد له أن يسلم أخيراً بأن لكل شخصية حياتها بما كمن فى حوافزها، ولكل شخصية ميتتها بما خفى من أدواء جسمها ودلال إرادتها وبما وراءها من مقدمات وصولها من نتائج

إن فى الحياة مسالك خطتها الارادة الكلية وليس للارادة الجزئية أن تتناولها بتحوير، ومصاعد الرقى للأرواح منتصبة من كل مسلك فى عالم الظاهر نحو العالم الخفى ، وما خصت العناية أقوياء الجسوم بالارتقاء

ولربَّ مسلوك فى نظر نيتشه لا يصلح للحياة ويجب أن يُقضى عليه دون إمهال تتفجر منه قوة لا تراها إلا البصائر النيِّرة

من لنا بسبر الأغوار البعيدة القرار لندرك سرَّ التكامل فى الذات والحكمة فى حد الأشواط لكل روح لتقوم بقسطها من المقدور ؟

ومن لنا بادراك سرّ الضعف والقوة وقد يكون الضعف فى الجسم السليم والقوة فى العليل من الأجسام ؟

إن لكل مخلوق أن يبلو الحياة بما أُعطى من ظاهر الضعف أو ظاهر القوة ، لأن للصحة محنتها كما للمرض محنته، والأنفسُ الطامحة إلى مُثُلها العليا سواء أكانت هذه المُثُلُ فى هذه الحياة أم ماوراء الحياة ، إنما تتغذّى من الجسد ناحلاً عليلاً كما تتغذّى منه مليئاً بالنضارة والصحة والبهاء

إن للحكمة العليا مقياسها فى تقدير الجهاد الأكبر على كل نفس، ومن يدرى فى أية لحظة وبأى مداد من قوة الجسد أو ضعفه تخطُّ الروحُ الأمين آثار سطر من كتابها ؟ . . .

* * *

إنَّ محور الدائرة فى فلسفة نيتشه إنما هو إيجاد إنسان يتفوّق على الانسانية . لذلك تراه يهزأ بكل من عدّ التاريخ عظيماً بين الناس قائلاً : إن الجيل الذى يلد العظماء لم يولد بعد ، وأن لا رجل فى هذا الزمان يمكنه أن يتفوّق على ذاته، وكل ما يوسع الناس أن يفعلوه فى سبيل المثل الأعلى هو أن يتشوّقوا إليه ليخرج من سلالتهم فى مستقبل الأزمان

وسوف يرى القارئ فى الفصول الأخيرة ، ما هو تقدير زرادشت للرجال الراقين فى هذه الحقبة الشاملة لعصره ولعصرنا فهو يعتبرهم نماذج فاشلة للانسان الذى يتوقّع نشوءه ، غير أن زرادشت وهو يتكلم بلهجة الآمر الناهى ويرسم للحياة طرقها بخطوط متفرقة إن لم تجمعها أنت بقيت حروفاً منتثرة لا معنى لها لا يقول لنا بصراحة ما يجب أن نفعله لنصبح جدوداً لأحفاد تصلح بهم الحياة ، ولكن من يعود بصيرته على مجاراة نيتشه فى الرؤى التى يهيم فيها يستوقفه قوله :

« إن ما فُطرنا عليه هو أن نخلق كائناً يتفوق علينا ، تلك هي غريزة الحركة والعمل »

ثم يستوقفه فى موضع آخر قوله :

« إننى لم أجد امرأة تصلح أُمّاً لابنائى إلا المرأة التى أحبها »

فاذا ما وقف المفكر عند هذا يعرف ما هى تلك الفطرة التى يراها دافعة للانسان إلى التفوق على ذاته وانسالها

وما تكون تلك الفطرة إن لم تكن حافز الحب الصحيح وفى

أعماقه غريزة الانتخاب تجذب الزوجين إلى اتصال يشد أحدهما فيه ما وهن فى بنية الآخر

ولولا أننا درسنا ملياً مسألة اعتلاء الأمم وانحطاطها ببحث صحة النسل واعتلاله فى فصل « منابت الأطفال » من كتابنا « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » لكنا نثبت هنا أن إيجاد الانسان الكامل فى إنسانيته ، لا الانسان المتفوق على نوعه كما يريد نيتشه ، إنما يقوم على مجاراة حوافز الاختيار الطبيعى فى الزواج باعتبار كل شهوة جامحة وكل طمع يسكت هاتف الاختيار سواء فى الرجل أو المرأة جناية على الانسانية

هذا وإننا لا نجد بداً من نقل بعض فقرات من فصل منابت الأطفال تأييداً لهذه الحقيقة

* * *

« إن الانسان لا يريد الانقياد للانتخاب الطبيعى فهو يطمح إلى تحكيم اختياره فى حوافز لا يعلم منشأها ، فيعمد الرجل إلى استيلاد المرأة أطفالاً تتجلى فيهم كوامن علله وعلل المرأة التى يرغمها إرغاماً بدلا من أن ينقاد إلى الانتخاب الطبيعى الذى تتذرع به الطبيعة للغلبة على العاهات والأمراض وللقضاء على حوافز الخبل والاجرام

* * *

إن الولد المختل العليل إنما هو الضحية البريئة تصفع الطبيعة به أوجه الرجال الفاحشين والنساء الطامسات المضللات

« ومما لاريب فيه أيضاً أن الطبيعة فى حرصها على طابع الأبوين فى الابناء تطمح دائماً إلى الجمع بين رجل وامرأة يصلح أحدهما ما أفسدت الحياة فى الآخر ، ولا يقف طموح الطبيعة عند حد إصلاح الأعضاء بل هو يتجه خاصة فى الانسان إلى إصلاح ماتطرق من عيوب إلى صفاته الأدبية العليا ، ولعل فى هذا بعض التفسير لسيادة الايقاع بين رجل وامرأة تخالفت أشكالهما وأوضاعُ أعضائهما ومظاهر قواهما الأدبية والعقلية ، فقد لاتجد مصارعاً قوى المضلات يشق مصارعة مثله ، ولافيلسوفاً يتوله بفيلسوفة . ولكم وقف المفكرون مندهشين أمام امرأة فاضلة تحس بانجذاب نحو رجل متلاعب محتال ، أوبارعة فى الجمال تندفع إلى الالتصاق برجل قبيح . إن بعض العشق ينشأ من حنان خفى فى الطبيعة يشبه عطف الطبيب المداوى على العليل المستجدى الشفاء . . . »

* * *

« إن المفكرين يثورون على الشبان الذين يقدمون على الزواج وفى دمائهم سموم ، وفى مجارى نطفة الحياة منهم صديد ، ومن الأمم من سنت القوانين الصارمة لمنع زواج المبتلى بالعلل الزهرية وبالجنون محافظة على صحة النسل ، ولكننى لم أقرأ لمفكر رأياً فى الحيلولة دون الزواج الآلى المجرد عن كل عاطفة ، ويتراءى لى أن طفلا يجنى أبواه عليه بإرثه دماً أفسدته الأمراض لهو أقل شقاء بنفسه وأقل إضراراً بالمجتمع من طفل يرث من أبويه عهر العاطفة وضلال الفطرة .

لقد تشقى المقاقير أبناء العلل ولكن أى دواء يشفى الطفل الذى زرعه توحش الرجل المفترس فى أحشاء المرأة المتكسرة الذليلة ؟ إن مثل هذا الطفل لن يكون إلا وحشاً كأبيه أو عبداً ذليلا كأمه »

(يتبع) فليكس فارس

الفصـــول والغايات

معجزة الشاعر الطائر

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع فى قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة